



معهد الدراسات الإسلامية

فلسفة الإشراق

البروفيسور هيرمان لاندولت

المصطلح مشتق من كلمة "إنارة"، وهي الترجمة التقليدية للكلمة العربية 'إشراق' (حرفياً الإشعاع، سطوع الشمس المشرقة)، تشير "فلسفة الإشراق" إلى مذهب 'الإشراقيين'، وهي مدرسة للفكر الفلسفي والصوفي من جذور يونانية وشرقية مختلفة والذين طرحت مبادئهم "كعلم الأنوار" القديم عن طريق شهاب الدين يحيى السهروردي في كتابه 'كتاب حكمة الإشراق'، وهو عمل رئيسي أنجز في 582 هـ/ 1186 م. ينبغي عدم الخلط بين المؤلف وبين الصوفي المعروف شيخ شهاب الدين عمر السهروردي (المتوفي عام 632 هـ/ 1234 م). كان المؤلف مفكراً أصلياً في تقليد ابن سينا، ومثل هذا الأخير، كان كاتباً غزير الإنتاج للأطروحات الفلسفية العربية والفارسية، فضلاً عن عدد من الحكايات ذات الطابع الباطني والغير مباشر. ولد على الأرجح حوالي 550 هـ/ 1155 م في سهرورد، وهي قرية بالقرب من زنجان (أذربيجان الإيرانية)، ويقال أنه درس الفلسفة والقانون الشافعي في المراغة، ووفقاً لبعض الروايات في أصفهان أيضاً. وفي وقت لاحق، انتقل لفترة طويلة إلى منطقة ما بين النهرين العليا من ماردين وديار بكر، وخربوط، حيث أصبح رعاه الأمير الأرتقي عماد الدين أبو بكر بن قره أرسلان (581-600 هـ/ 1185-1204 م). وقد أهدى لعماد الدين أحد كتاباته المميزة، 'الألواح العمادية'، والذي كان عملاً ذو محتوى فلسفي وصوفي مختلط ينتهي بتمجيد كبير للملكين الإيرانيين الأسطوريين، فريدون وكاي خسرو. استقر أخيراً في مدينة حلب، حيث قبلت أفكاره بإستياء واضح من قبل السلطات الدينية المتوترة. أعدم بعد ذلك بتهمة الهرطقة في 587 هـ/ 1191 م أو نحو ذلك بأمر من السلطان الشهير صلاح الدين (ولذلك أطلق عليه بعد ذلك اسم 'المقتول').

حاول السهروردي وضع نهج بديل للواقع، مشككاً بالأطر الرسمية للميتافيزيقيا ولنظرية المعرفة السينوية (نسبة لابن سينا)، والتي كان قد أنشأ هو نفسه عليها. تصور السهروردي باعتماده على بصيرة وخبرة وإدراك لعالم منفصل من الصور، عالماً حيويًا لإشعاعات متعددة مصدرها بعيد وهو "نور الأنوار" (أي ما يوازي 'الإشراقي' في السينوية "ضروري للوجود"، وهو الله) والتي تقع بدرجات وقوة مختلفة على المادة الغامضة. عُرف نهجه فيما بعد باللغة المختصة، بإسم مذهب الواقع الأساسي (أصالة الماهية)، كمقابل للواقع الأساسي للوجود (أصالة الوجود). وفقاً للسهروردي، فإن النفس البشرية هي مادة مضيئة، وهي "النور الوصي" ('النور المديبر'، أو 'النور المرشد' في المصطلحات الإشراقية، والتي ربما تذكر بتأثير المذهب الرواقي)، وهي تعرف ما يعرف حقاً من خلال لقاء مباشر مع المادة المنيرة ('مقابلات المستنير') بدلاً من طريق التجريد كما في حالة الأنواع والأجناس لدى الأرسطوطاليين. ويعتبر اكتشاف هذا النوع من المعرفة، والتي تدعى 'بالعلم الحضورى'، أحد مساهمات السهروردي الدائمة في تاريخ الفكر الإسلامي.

لا يوجد هناك أي شك بأن السهروردي كان ملماً بالتقاليد الصوفية والممارسات الروحية مثل 'الدُّكر' (ذكر الله)، والسمع (الإستماع إلى الموسيقى)، لكنه لا يبدو أنه كان منتمياً إلى المنظمات الصوفية المتبعة في وقته، والتي كانت تتمتع عادةً بتكريم من صلاح الدين. وفي كتابه "حكايات البدء"، فإن المبدأ التوجيهي المضيء كان قد ظهر تكراراً في صيغة العقل الكوني، أو كرمز ملائكي أو ربما في الصفات الأسطورية (مثل الطير، سيمرغ)، وأحياناً في سمات الشيخ الصوفي، أو ببساطة في "المعلم". يوضح السهروردي بشكل غير قابل للشك بأنه اعتبر الأولياء الصوفيين التقليديين وليس 'الفلاسفة'، هم الفلاسفة الحقيقيين للعصر (الإسلامي) في ذلك الوقت، كما ولمح إلى أن الحكمة القديمة قد وصلت إليه من خلال طرق صوفية غامضة، لكنه ربط علمه بالأنوار مبدئياً مع أسماء أفلاطون، هيرميس، إيمبيدوكليس، فيثاغورس، و"بالمبدأ الشرقي" ('قاعدة الشرق') فيما يخص النور والظلام" لحكام إيران القديمة. وفي الواقع، أنشأ مدرسة جديدة لفكر الأفلاطونية الحديثة بنكهة إيرانية مميزة، والتي توازي إلى حد ما التطورات القديمة في الفكر الإسماعيلي الفاطمي. أدى هذا بالإضافة لإشاراته الغامضة إلى "الوقت المحروم من الإدارة الإلهية"، حيث "تسيطر قوى الظلام" ويكون "ممثلاً لله" (خليفة الله) الحق أو

تم الحصول على حقوق النشر من الناشر المذكور.

إن استخدام المواد الموجودة على موقع معهد الدراسات الإسلامية يشير إلى القبول بشروط معهد الدراسات الإسلامية لإستخدام هذه المواد. كل نسخة من المقال يجب أن تحتوي على نفس نص حقوق النشر التي تظهر على الشاشة أو التي تظهر في الملف الذي يتم تحميله من الموقع. بالنسبة للأعمال المنشورة فإنه من الأفضل التقدم بطلب الإذن من المؤلف الأصلي والناشر لإستخدام (أو إعادة استخدام) المعلومات ودائماً ذكر أسماء المؤلفين ومصادر المعلومات.

"الزعيم الموحى إليه إلهياً" (الإمام المتأله) مختفياً، كافياً لإستفزاز خصومه بين 'العلماء'، وأدى في النهاية إلى إعدامه.

ومع ذلك فقد أخذت بأفكاره وتم تطويرها وشرحها بعد جيل أو جيلين من قبل فلاسفة مثل ابن كمونة (المتوفي عام 683 هـ / 1284 م)، وشمس الدين محمد الشهرزوري (المتوفي بعد عام 687 هـ / 1288 م)، وقطب الدين الشيرازي (المتوفي عام 710 هـ / 1311 م)، وكانت في ذلك الوقت معروفة في الأوساط الصوفية الفلسفية (مثل عبد الرزاق الكاشاني، المتوفي عام 736 هـ / 1335 م) كتقليد 'إشراقي' متميز. استمرت تأثير أفكاره على التطورات الفكرية اللاحقة في بلاد فارس، وخاصة في المدارس الفلسفية في شيراز (القرنين الخامس عشر والسادس عشر) وفي أصفهان (القرن السابع عشر) مع مير داماد والملا صدرا. كان لهم أيضاً تأثير في الهند المغولية (لا سيما في الأوساط الصوفية والزرادشتية المختلطة في بلاط الإمبراطور أكبر) وفي تركيا العثمانية، حيث يبدو أنها قد وجدت طريقها إلى مزيد من الأوساط الصوفية الأرثوذكسية (على سبيل المثال، اسماعيل أنقراوي، المتوفي عام 1041 هـ / 1631 م). ومع ذلك، تجدر الإشارة إلى أن وجود المصطلح 'إشراق' في النصوص الصوفية لا يشير بالضرورة إلى تأثير فلسفة الإشراق كما يفهمها السهروردي. نجد أن المرجع الصوفي في شمال أفريقيا والمعروف بعنوان 'قوانين حكم الإشراق' لأبو مواهب التونسي الشاذلي (المتوفي عام 882 هـ / 1477 م) والذي نشرت نسخة إنكليزية منه بعنوان 'إضاءة على التصوف الإسلامي' (ترجمة إي. ج. جرجي، برينستون، 1938)، قد إشتراك مع عمل السهروردي الرئيسي في العديد من النقاط أكثر من أي كتاب آخر.

من ناحية أخرى، يتبين لنا أن 'إشراقي' السهروردي لم يكونوا معروفين لدى المسلمين في إسبانيا ويتضح هذا من الملخص الممتاز "لوجهات نظر أتباع [مذهب] الأنوار بين القدماء" الذي قدمه لسان الدين ابن الخطيب الغرناطي (المتوفي عام 776 هـ / 1374 م) في كتابه 'روضة التعريف بالحب الشريف' (تأليف محمد الكتاني، بيروت، 1970، المجلد الثاني، 564-574)؛ وتجدر الإشارة إلى أن هذا الكاتب يميز وجهات النظر هذه بوضوح عن "وجهات نظر الفلاسفة الذين اندمجوا بين المسلمين" من جهة، والمقصود من ذلك التقليد الأرسطي المنتهي مع ابن رشد، وعن وجهات النظر الصوفية من جهة أخرى.

المراجع

للمزيد من المعلومات عن المراجع، يرجى الإطلاع على النسخة الإنكليزية.